ولا يعني بحال من الأحوال أن التاريخ تجاوز الجبهة الشعبية ولفظها، رغم أزمتها وتفككها، إذ حيثما يممنا النظر نعثر على كادرات ونشطاء وأفكار منثورة في كل مكان، كانت على صلة بالجبهة، الجبهة التي نشطوا فيها ويتمنون عودتها وليس الجبهة بوضعيتها الراهنة. ومثل هذا الحضور في المجتمع وثقافته إنما يؤكد على ان التاريخ لم يسدل الستار على الجبهة ورؤيتها بعد، ذلك أن الجبهة أوسع بكثير من وضعيتها الراهنة. إنها تاريخ نضالي مديد، ورموز كبيرة تحوز على احترام في الذاكرة الشعبية، وأفكار عقلانية وحداثية منتشرة، وخبر ودروس مطرزة في عقول وافئدة الكثيرين... «إنها أمام امتحان النهوض أو الانطفاء».

لننظر إلى تجربة حزب الله، ألم تتكئ على مقولات وخبرات التجربة الفلسطينية واللبنانية، فتح والشعبية والشيوعي اللبناني... بل إنها أتت نفياً ارتقائياً في كثير من الجوانب... ولننظر إلى قطاع غزة المحاصر ولكن المشحون بروح الصمود والمقاومة، شعباً وقوى، إلا يشكل امتداداً للنهج المقاوم، بصرف النظر عن التفاصيل، ولننظر لمشروع تشافيز في القارة اللاتينية، ألا يرتبط بصلات وثيقة بالتجربة الاشتراكية العالمية رغم انهيار النموذج السوفييتي...

فما يتراكم في التاريخ لا يمكن هدمه بالكامل.

ولكن يمكن الإضافة، أيضاً، أن الجبهة براهنيتها وإرث الأمس أمام امتحان الوجود، فإما أن يتحد ذلك في مبادرة قيادية كفؤة تنهض بها من جديد كبنية وازنة لها دور حقيقي تنأى عن التطرفين (السرية المنغلقة والعلنية المنفلتة) «فالصوابية بين تطرفين» أرسطو، بحيث تكون قادرة على الاضطلاع بوظيفتها التاريخية التحررية والطبقية والتنويرية أو أن يطويها النسيان، لزمن غير قصير. فالبشر في نهاية الأمر يصنعون مستقبلهم.

ثالثاً: سياق الأطروحة يحايث سمات الجبهة وتحولاتها، ولكن الجبهة كمظهر رئيس، تميزت بالتعاضد الداخلي والروح الجماعية وفخر الانتماء الذي يتقدم على أي انتماء آخر، فقد جسدت الحداثة، إجمالاً، تجاوزاً للعائلية والعشائرية والطائفية، يحفزها حلم موجه لبناء حزب ثوري ودفع استحقاقات ذلك عن طيب خاطر، أحد مظاهره، أن تعتقل غالبية عضويتها مرة ومرات نضال – اعتقال – نضال... وقد عبأت بالخط السياسي التحرري وبالخط الفكري الماركسي على حدٍ سواء، أو بصورة أدق بالخط الماركسي – القومي. وكانت الأدلجة في السجون أعمق وأبعد مدى، وهذا أفضى لرفع مستوى وعي الأعضاء والعاطفين والمحيطين، كما أصدار مطبوعات ووسائل إعلامية ودراسات عديدة، ناهيكم عن تكون قبضة من المثقفين والكتاب والمبدعين، جاء